المحاضرة الثانية:

1 – 2 علاقة علم الكلام بالفلسفة:

" واجهت الفلسفة هجوما شديدا وعداءً سافرا لها، في تهافت الغزالي، وفتاوى ابن الصلاح، ومقدمة ابن خلدون، وموقف ابن تيمية ومدرسته. وهو ما أدى بالفلسفة إلى الدخول تحت موضوعات علم الكلام والتصوف. ومن ثم، تمّ إشباع الميل الفطري للتفلسف عند المفكرين الإسلاميين، دون تخصيص بالفلسفة على وجه التحديد. وهكذا كان علم الكلام والتصوف بمثابة الشاطئ الذي رست عليه الاتجاهات الفلسفية في الإسلام في تلك الفترة"[1] وارتباط علم الكلام المتأخر باستخدامه للمنطق الصوري أداةً ومنهجاً للبحث والاستدلال[2]، كما أنّ اهتمام علماء الكلام المتأخرين اهتماماً خاصاً بمنهج التأويل العقلي المعتزلي، الأمر الذي أدى إلى مزج علم الكلام بالفلسفة[3]، وهذا ما نستشفه في أثر الفكر الفلسفي الإسماعيلي في انطباع الموضوعات الكلامية بالطابع الفلسفي خاصة ما يلاحظ على سبيل الذكر ارتباط علم الكلام المتأخر بالأصول الكلامية في فلسفة ابن سينا[4].

ومنه يمكن أن نتساءل: هل الفلسفة و علم الكلام من طبيعة واحدة ؟

والجواب هو أنّه بعد أن رسخت العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين على اختلاف أجناسهم انبثقت لديهم الرغبة في إدراك معاني الإسلام و أبعاده، فظهر مفكرون كثيرون حاولوا تحقيق هذه الرغبة من بينهم: المتكلم و الفيلسوف. فما هي العلاقة بين الفلسفة وعلم الكلام أو بين الفيلسوف والمتكلم ؟

. كلاهما يعتمد على العقل و المنطق كوسيلة له .. كلاهما دفاع عن قضية ما .

. غايتهما واحدة و هي الإقناع.. يعتمدان على الحجة و الدليل بالعقل ثم النقل أو بهما معا

---

[1] عباس مُحَمَّد سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، مصر، (د – ط)، 1998، ص216.

[2] عباس مُحَمَّد سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة، ص217

[3] عباس مُحَمَّد سليمان، الصلة بين علم الكلام والفلسفة، ص218

[4] ن م، ص220

. الشريعة و أصولها محور مشترك بينهما. غير أنّ:

. علم الكلام يبحث في التوحيد و أصول الشريعة .

علم عقلي ينطلق من مقدمات إيمانية (عقائدية)لا يمكن أن يكون فيها جدال (مثل:وجود الله, الجنة النار...)

. يهدف إلى الدفاع عن العقيدة الإسلامية في وجه المشككين و الأعداء

. يعتمد على الجدل كمنطق رئيسي في مسائل عدة: العدل الإلهي قضاء الله و قدره، تفسير المحكم و المتشابه، فهم طبيعة الحكم السياسي، (ما هي المعايير التي يجب توفرها في الخليفة؟)

. أساسه ذاتي: حدة العاطفة الدينية (الوازع الديني)غير أنّ منهجه عقلي و غايته خدمة الشرع(العقل وسيلة والشرع غاية، الشرع أولا والعقل ثانيا) وإن كان هناك اختلاف بين المعتزلة والأشاعرة، فالمعتزلة ينطلقون من العقل و يؤكدون بالنقل أما الاشاعرة فينطلقون من حجج نقلية ثم يدعمونها بحجج عقلية.

بالمقابل: الفلسفة تبحث في الوجود من حيث هو موجود كما قال أرسطو. تستخدم في ذلك العقل فقط. فتطرح قضايا عقلية طرحا حرا لا يخضع لأي سلطة عكس علم الكلام الذي يطرح قضايا عقلية داخل اطار عقائدي.

. تهدف إلى بيان حقيقة الوجود و علته تعتمد في ذلك على القياس العقلي، كمنطق رئيسي

. أساسها الذاتي: الصراحة العقلية.

ورغم هذا فإنّ العلاقة بينهما علاقة تداخل إذ أن مباحث الفلسفة تتضمن العقيدة وأصولها، ومباحث العلم الكلامي تتضمن الحكمة و منهجها، فالفلسفة تمد علم الكلام بقضايا المنطق و اقاييسه، وطريقة لدفاع عن الرأي و علم الكلام من جهته يثري الفلسفة بحيث انه يطرح قضايا فكرية معقدة و دقيقة كمسالة الخير والشر والقضاء والقدر ....الخ

وعليه فرغم الاختلاف الحاصل بينهما من حيث المنطلق و الغاية إلا أنهما يهدفان إلى بيان الحقيقة على الأقل وعليه أكد مؤرخوا الفلسفة ومستشرقوا القرن العشرين (مصطفى عبد الرازق، مصطفى مذكور، هنري كوربان...) أنّ علم الكلام جزء من الفلسفة الاسلامية بل جزؤها الأكبر هذا بصفة خاصة، وبذلك فهو جزء من الفلسفة بصفة عامة.